AL-HAMZAH WA ASHWAT AL-ILLAH BAINA AL-WASHFI AL-NUTHQI WA AL-BINYAH AL-MAQTHAIYYAH

Musthafa Bani Dziyab, Mohammad Majid Al-Dakhil, Majdi Husain Ahmad Syahadaat

majdi_faqeeh@yahoo.com
Depertement of Basic Sciences- Devision of the Arabic language and Literature
Jordan- Irbid- Irbid University College (BAU)

Abstract: This study investigates the relation between the hamza and vowel sounds as it offers the phonetics' characteristics for both hamza and vowel sounds in their separatedly contexts and for the effect of phonetics' contexts on their phonetics' characteristics. This study concludes that there is a symmetrical relation between the characteristics of the hamza and vowel sounds specially when the vowel sounds come after (a) at the end of the word. In addition to what had been mentioned, this study elaborates the effect of syllabic structure in Arabic on the phonetics' sequences for the vowel sounds which lead to the convert of (w) and (y) to hamza after (a). This conversion is discussed despite the difficulties of the articulations of the sounds.

Keywords: hamzah, ashwat, al-illah, washfi al-nuthqi, binyah maqthaiyyah

مقدمة

الهمزة صوت صامت حنجري شديد (وقفة Glottal stop) مرقق، مجهور عند سيبويه (Sibawaih، 1982، ص 433)، مهموس عند بعض المحدثين (Al-Syayib ، 1999، ص 161) ويرجّح فريق ثالث من المحدثين أنه لا هو بالمهموس ولا هو بالمجهور (Basyar، 1986، ص 110) وتخرج الهمزة من أول مدارج اللسان, ومن العرب من يهمز،ومنهم من لا يهمز (ابن السكيت، دت، ص 158) فمن يهمز يأتي بها محققة مستكملا صفاتها النطقية. ومن لا يهمز يفقدها بعض تلك الصفات، فتتحول إلى صور مختلفة، كأن تكون بين بين أو تنقلب إلى صوت من جنس الحركة قبلها، بمدّ الحركة مداً طبيعياً بمقدار حركتين تعويضاً عن الهمزة، أو حذفها (Asir، 1994، ص 44) و قد اتفق العلماء قدماء ومحدثون على أن الهمزة صوت شديد، واختلفوا في مخرجها، فهي عند (سيبويه) من أقصى الحلق (Sibawaih ، 1982، ص 434)، وعند المحدثين من الحنجرة (Syahin، 1980، ص 172). وقد اختلفوا بشأن جهر الهمزة وهمسها، فذهب القدماء وعلى رأسهم سيبويه إلى أنها صوت مجهور، وأما المحدثون فقد وقفوا منها موقفين متقاربين:

الأول: يرى أنها صوت لا هو بالمهموس ولا هو بالمجهور، وذلك مراعاة لوضع الوترين الصوتيين في أثناء نطقهما. وتبنّى هذا الرأي كثير من المحدثين في مقدمتهم إبراهيم أنيس (Anis، 1999، ص 78)، ومحمود السعران (السعران، دت، دون الصفحة)، و كمال بشر وغيرهم. ويقول كمال بشر – في معرض ردّه على من يقول بهمس الهمزة –: إن الهمزة العربية لا يتمّ نطقها بمرحلة واحدة تنفرج بعدها الأوتار الصوتية، بل تتكون الهمزة ويتمُّ نطقها بمرحلتين (Basyar، 1986، ص 111):

الأولى: انطباق الوترين الصوتيين، وفيها ينضغط الهواء من خلفهما فينقطع النفس.

والأخرى: انفراج الوترينالصوتيين فجأة محدثا انفجارا مسموعا. وهاتان المرحلتان متكاملتان، ولا يمكن الفصل بينهما أو النظر إلى إحداهما دون الأخرى.

فهو بذلك يرىأن المرحلة الأولى هي الأهم في تكوين الهمزة من المرحلة الثانية، ومن ثم كانت تسميتها بهمزة القطع.

الثاني: يقول بهمس الهمزة لعدم تذبذب الوترين الصوتيين معها؛ لأنه يستحيل أن ينتج في وقت واحد انفجار وتذبذب في الوترين الصوتيين، وهذا ما نص عليه هفنر(Heffner) (Basyar، 1986، ص 111) بأنه صوت مهموس دائما. وأخذ بهذا عبد الرحمن أيوب، و غيره من المحدثين (Ayyub، دت، ص 217، Ramadhan، 1997، ص 56).

وبناء عل ما سبق لا يظهراختلاف جوهري في وصف الهمزة بين الفريقين من المحدثين، إذا لااختلاف قائم على تباين التفسير، لكن النتيجة واحدة , فالهمزة من حيث خصائصها الصوتية مهموسة لعدم تذبذب الوترين الصوتيين عند النطق بها، وهو الرأي الذي يتبناه عدد من الحدثين على الرغم من وجاهة التفسير الذي يسوقه كمال بشر, حين يقول Basyar، 1986، ص 111): نحن نرى أن الهمس لا ينتج عن عدم التذبذب وحده , بل ينتج عن الإقفال التام للوترين، وهذا وضع جديد، لا هو بوضع حالة الجهر ولا هو بوضع حالة الهمس .

فالهمزة تتميز عن غيرها من الأصوات بأن الوترين الصوتيين يقومان بدور بارز في تشكيلها ومخرجها معا، وهذا لعلّه ما يقربها من الأصوات الصائتة على نحو ما، إذ يضيف الوتران الصوتيّان الصفة الأبرز في تصنيف أصوات العلة. لذلك فمن المستحيل أن ينتج في وقت واحد انفجار وتذبذب في الوترين الصوتيين. والهمزة بحسب طبيعة نطقها، وبُعد مخرجها تُعدّ أصعب الأصوات نطقاً، وأكثرها إجهادا.

ويرى بعض المتأخرين أنه في أثناء عملية نطق الهمزة يكون وضع الوترين الصوتيين بصورة مشدودة، بحيث يتم فيها إغلاق المزمار إغلاقا تاما، وغالبا ما يكون أحد الطرفين متداخلا مع الآخر، فينحبس الهواء خلف الوترين الصوتيين (Al-Syayib 1999، ص 161-162).

الوصف النطقي لأصوات العلة

هي أصوات مجهورة، ينطلق الهواء معها في مجرى مستمرّ حرّ، من خلال الحلق والفم, الذي يتشكل على نحو مختلف بفعل أوضاع الحلق واللسان والشفتين، وأبرز صفات الحركات هي: الجهر وحرية مجرى الهواء، فالحركات ليست ذات نسبة واحدة في الوضوح السمعي (Anis، 1999، ص 27).

أما أصوات المد في العربية فهي: (الألف والواو والياء) تسمى عند بعض المتأخرين بأصوات المد واللين (Anis، 1999، ص 36، اسر، 1994، ص 53)، وعند غيرهم أنصاف الحركات (Al-Bukusy، 1992، ص 53). ويكون جهاز النطق عند نطقها في حالة تقارب متسع لأعضائه على نحو ما، وهو تضييق تجويفي، لا موضعي في الحلق والفم. والتجويفان يشكلان معا تجويفا أنبوبيا يمتد من الحنجرة إلى الشفتين يسمى بالقناة النطقية، و يمثل اللسان عضوا أساسيا في تشكيل هذه القناة، إضافة إلى شكل الشفتين، علما أن شكل هذه القناة يختلف عند نطق كل صوت صائت.

فالألف هو صوت مد ولين دائما، أما الواو والياء فلا نقصد بهما الأصوات الشبيهة بالصائتة، بل نعني بهما الواو والياء حرفي المد واللين على نحو خاص. دليل ذلك أن الواو والياء التي تتلو الألف في: سماء، وبناء، ورسائل، وعجائز، وما شاكلها هي أصوات مدّ، مأخوذة من: سما يسمو، وبنى يبني، وتُجمع رسالة بإضافة ألف بعد الحرف الثاني، وتُجمع عجوز على عجاوز، فأصبحت " عجائز " بقلب الواو فيها إلى همزة. وعليه فحروف العلة التي وقعت بعد الألف في جميع الكلمات السابقة: الواو والياء والألف، تحولت إلى همزة بفعل وجود قاعدة صوتية تمنع توالي صوتين من أصوات العلة دون فاصل.

أما الواو والياء الشبيهتان بالصائت فلا تنقلبان إلى همزة، في مثل كلمة سماوات، وبنايات، وقساور جمع قسورة، وهي ليست أصوات مدّ ولين في هذا السياق بل تقوم بوظيفة الأصوات الصامتة؛ لأنها وقعت تالية لصوت صائت، والبنية المقطعية في العربية لا تسمح بتوالي صائتين في مقطع واحد. بل

نميل إلى القول بأن البنية الصوتية للواو والياء، المدّ واللين، في المفرد قد تحولتا إلى صوتين شبيهين بالصائت، يقوم بوظيفة الصوت الصامت لوقوعه بين صوتي مد ولين، وهما الألف التي قبل الواو والتي بعدها أو الياء في كلمتي: سماوات، وبنايات؛ وذلك لأن الواو والياء في ظاهر الوصف الصوتي تنتميان إلى الحركات الضيقة، والألف تُعدّ من الحركات المتسعة.ووفقا لنظام الحركات المعيارية، فهناك تقابل واضح في موضع اللسان في منطقة نطق الحركات. انظر الرسم الآتي (Anis، 1999، ص 33، شوملي، 1986، ص 72):

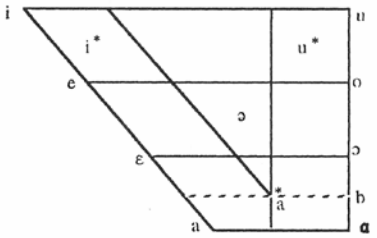

فالألف تقابل الواو والياء، ويُعدّ هذا من باب المخالفة الصوتية. والانتقال من منطقة الحركات الضيقة إلى منطقة الحركات المتسعة الذي يُعين على الفصاحة والوضوح في النطق، ويُمكِّن من نطقها بتمام صفاتها سواء أكانتْ أصواتا صائتة أمأصواتاشبه صائتة، دون اللجوء إلى الإبدال الصوتي بالانتقال إلى صوت صامتٍ محض كالهمزة؛ لما تشكله من صعوبة نطقية واستثقال. بل تتيح الآلية النطقية تحويلَ الصوت الصائت إلى صوت شبيه بالصائت، يقترب في خصائصه الصوتية من حيث مدته الزمنية وطوله من الصوت الصامت، باقتراب اللسان من مخرجه بصورة يقع فيها في مكان يتوسط فيه بين الصوت الصائت والصامت. فتقوم الواو والياء الشبيهتان بالصائت بوظيفة الصوت الصامت، وتتيح الفرصة للسان للعودة لنطق الصوت الصائت وهو الألف، الذي يخالف في وضعه النطقي في التجويف الفموي صوتي الواو والياء، مما يسمح بمرونة في الحركة وانتقال اللسان من أعلى إلى أسفل ثم إلى أعلى دون استثقال أو مشقة أو جهد كبير.

تقسّم أصوات اللين إلى مجموعتين (Anis، 1999، ص 35):

المجموعة الأولى: تشمل أصوات اللين الضيقة (Close)، وأفراد هذه المجموعة هي: الواو والياء(w،y)و الكسرة والضمة (i،u)وما قَرُب منهما.

والمجموعة الثانية: أصوات اللين المتسعة (open) وهي الألف(ə)والفتحة (a) وما قَرُب منها.

علاقة الهمزة بحروف العلة

إن جَمْعَ القدماء للهمزة مع حروف العلة، ووصفها بأنها هوائية أو من أصوات أقصى الحلق (Sibawaih، 1982، ص 433، Al-Farahidi، دت، ص 52، Ibnu Jinni، 2000، ص 59)، وجَعْلَ الهمزة مع الألف في مدرج واحد عند سيبويه كما أشرنا آنفا، والجمعَ بين الهمزة والواو والياء والألف في باب الإعلال؛ يَشي بعلاقة من نوع ما بين الهمزة وحروف العلة، وهو ما جعلنا نبحث في خصائص كلٍّ منها؛ لنتبيّن إنْ كان هناك علاقة من المماثلة أو المخالفة.

أثبتت الدراسات الصوتية بما لا يدع مجالا للشك أن الهمزة من الصوامت وحروف العلة من الصوائت، وهاتان طائفتان مختلفتان عند أغلب اللغويين. كما أن الهمزة يُقْطَع بأنها ليست مجهورة بأي حال من الأحوال بإجماع اللغويين المحدثين وأصوات العلة مجهورة في كل اللغاتأما الأصوات الصائتة فهي أطول من الأصوات الصامتة عادة (Anis، 1999، ص 78، Basyar، 1986، ص 111).

إن الخصائص الفردية للهمزة ولأصوات المد واللين متخالفة تماما في غالبها، إلا أنها تلتقي بأصوات العلة في صفة الوضوح الصوتي. فالهمزة صوت وقفة (انفجاري) واضح في السمع وضوحا شديدا مما دعا القدماء إلى عدّها صوتا مجهورا.كما أنها من الوقفات الشديدة؛ لأنها كلّما جاءت بعد صوت آخر فإنها تفصله عنه بشكل فجائي (Al-Khauli، 1993، ص 62). وتحتاج إلى جهد عضلي كبير، مما يزيد في وضوحها السمعي (Al-Syayib، 1999، ص 159).

أما الهمزة باعتبار مخرجها فهي أدخل أصوات جهاز النطق في الجوف، وهي صوت حنجري، وعلى الرغم مما يراه

كمال بشر من وجود اضطراب _ عند الأوائل في تحديد مخرج الهمزة و صفاتها _يحتاج إلى تأمل و نظر (Basyar، 1986، ص 114 و 288)، إلا أنهم يشيرون بصورة ما إلى صلة صوتية نطقية ووظيفية تربط بين الهمزة وحروف العلة، سواء أكان ذلك من حيث خصائصها النطقية صوتا مفردا, أم من حيث سياقاتها الصوتية في البنية المقطعية. أو حتى للطبيعة الصوتية للهمزة وطريقة نطقها، التي تحدث نتيجة انغلاق الحنجرة بسبب اجتماع الوترين الصوتيين، فيتولد ضغط كبير خلفها ما يلبث أن ينفك محدثا فرقعة شديدة (Basyar، 1986، ص 114).

علما أن للهمزة حكما يخالف جميع الأصوات، لأنها صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس، وعملية النطق بها محققة من أشد العمليات الصوتية صعوبة (اسر، 1994، ص 42، Anis، 1999، ص 68). أما أصوات العلة فتخالف في طريقة حدوثها الهمزة، إذ يندفع الهواء معها حرّا طليقا من الرئتين مارا بالحنجرة إلى الحلق و الفم دون وجود موانع تعترض (Anis، 1999، ص 26)، ومع ذلك يلاحظ أن الهمزة من أقرب الأصوات الصامتة إلى الحركاتوضوحا، بسبب شدتها وانفجاريتها. وهذه الصفة تقرّب الهمزة من أصوات المد أكثر من غيرها من الأصوات الصامتة، إذ إنها تمتاز بامتداد التيار الصوتي ابتداء من الحنجرة وهي أول مدارج الأصوات، حتى تخرج من الشفتين وهي منقطع أصوات اللين إذا ما كانت في البنية المقطعية التي سوف نعرض لها فيما يأتي.

إن الهمزة صوت انفجاري شديد، يحتاج إلى جهد عضلي كبير، لذا يرى سمير استيتية أن لهذا الجهد العضلي الزائد أثر في زيادة الوضوح السمعي للصوت (Istitiyyah ، 2003، ص 206). مما يقرب الهمزة من حيث الوضوح السمعي إلى أصوات المد. وربما هذا ما دعا القدماء إلى اعتبار الهمزة صوتا مجهورا، فاختلط الأمر عليهم لشدتها ووضوحها. إذ يجمع اللغويون المحدثون على القطع بعدم جهر الهمزة على أي حال.

وعليه يلاحظ أن صوت الهمزة يمثل مخالفة صوتية صريحة لأصوات المد واللين, فنطقها يتطلب انسداد الحنجرة واجتماع الوترين الصوتيين، وهذا تعويق كامل، ينضغط معه الهواء انضغاطا شديدا، و ما يحدث أثناء نطق أصوات المد واللينعكس ذلك تماما ، وهو ما يعد سنّة صوتية تمثلها بنية المقطع الذي لا يجتمع فيه صوتا مدّ متواليين بأي حال من الأحوال.

إن المخالفة الصوتية في الحقيقة تشكل جوهر العلاقة بين حروف المد والهمزة. فالمخالفة الصوتية قانون صوتي لغوي يضبط توزيع الأصوات في السلاسل الصوتية المنطوقة، ليستبعد في أول عمل له الصعوبات الصوتية الناشئة عن تقارب المخارج أو تماثلها الأمر الذي يحتاج إلى جهد عضلي (رمضان، دت، ص 41)، وقد يتعذّر—أحيانا- معه إخراج الأصوات اللغوية ضمن تتابعات متقاربة أو متماثلة لإخراج صوتين من مخرج واحد. فينتهي المتكلم إلى نطق ينتقص من صفات الصوت ووضوحه. مما يدفع النظام الصوتي إلى البحث عن حلول يكون أولها المخالفة في المخرج، بالانتقال إلى مخرج آخر يعين على النطق الفصيح السليم. والذي يستكمل فيه جهاز النطق أداءه للصوت بكافة خصائصه. فإذا تباعدت مخارج الحروف حسن تأليفها وإذا تقاربت لجأ النظام الصوتي إلى المخالفة الصوتية تسهيلا للنطق (Istitiyyah ، 2003، ص 174).

البنية المقطعية

يعرف المقطع بأنه:(أصغر وحدة صوتية يمكن النطق بها، ويستطيع المتكلم أن ينتقل منها إلى غيرها من أجزاء الكلمة) (ابن دريد، دت، ص 8)، وَفْق نظام متناسق وهو الوحدة الصغرى؛ لأنه يرفض تقسيم الكم المتصل إلى أصوات، لأن الأصوات المفردة ليس لها وجود مستقل في الكلام (Hilal، 1996، ص 199). كما أن المقطع في حقيقته النطقية والأكوستيكية منظّم للطاقة الصوتية، ويتمم هذا التوزيع على أساس التباين الكائن بين الصوامت والحركات وأنصاف الحركات (Umar، 1976، ص 135). فالمقطع دفقة صوتية متناسقة مكونة من صوامت وصوائت جعلها إبراهيم أنيس في خمسة أشكال , و حدد له بعض الصفات التي تميز

ظهورها في نسج الكلمات العربية (Anis، 1999، ص 134):

1_ صوت ساكن + صوت لين قصير. (ص ح)

2_ صوت ساكن + صوت لين طويل. ص (ح ح)

3_ صوت ساكن + صوت لين قصير +صوت ساكن (ص ح ص)

4_ صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن. (ص ح ح ص)

5_ صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان.(ص ح ص ص)

ويُلاحظ أن وصف علماء اللغة إلى تشكيل المقطع في العربية من الجانب الأكوستيكي يقوم على تحديد نهايتها، فإن كان المقطع متبوعا بصائت سُمّي مقطعا مفتوحا، وإن كان متبوعا بصامت سُمّي مقطعا مغلقا. ويرى سمير استيتية أن ثمة مقاطع في اللغة لا يصح أن توصف بأنها مفتوحةمع أنها في الحقيقة ليست مغلقة, أي مثل المقطع الذي ينتهي بنصف حركة،وذلك مثل{ لو }. فالموجة التي تتشكل عند نطق الواو في { لو } ونظائرها موجة ذات طابع انتشاري. ويسمى المقطع المنتهي بنصف حركة بأنه مقطع نصف مفتوح (Istitiyyah، 2003، 306-307).

وتبدو ملاحظة سمير استيتية جديدة تثير الاهتمام ,لأن من شأنها أن تفسر لنا تغيّرات صوتية مهمة في بنية الكلمة وبناء مقاطعها. وخاصة عندما تحتاج بنية الكلمة المقطعية والصوتية إلى تحولات من نوع انقلاب أصوات المد الواو والياء والألف إلى أصوات شبيهة بالعلة. وهي تكيّفات صوتية ضرورية للتخلص من الثقل والنشازاللذان قد يخالفان الخصائص التركيبية، والبنية الصوتية العربية للمقطع؛ نتيجة لتصريف الكلمة بزيادة لواحق إليها، كما في كلمة (سماوات جمع سماء). فأصلها (سما يسمو) الواو فيها مدية تحولت في (سماوات) إلى واو غير مدية (نصف صائت) لصعوبة توالي ثلاثة أصوات للمد دون فاصل وهي الألف بعد الميم ثم الواو ثم الألف بعدها. فقد حدث تكييف في نطق الواو لتوسطها بين ألفين، يقترب فيه اللسان من الطبق في منطقة متوسطة بين نطق الواو ونطق أي صوت احتكاكي صامت، إلى الدرجة التي يسمع فيها احتكاكا بسيطا قريبا مما عليه الحال في نطق الأصوات الاحتكاكية ولا يتسع إلى الدرجة التي يتم فيها نطق الحركات وأصوات العلة. كما أن هذه الواو تُعدّ من الأصوات ذات الإغلاق النطقي اللفظي، وهي غير قابلة للإطالة البتة (Istitiyyah، 2003، ص 308). وهو ما يوافق البنية المقطعية في العربية كما سنبين ذلك فيما يأتي:

البنية المقطعية للكلمة العربية وانقلاب حروف العلة إلى همزة.

و لبيان التغيرات الصوتية التي تصيب الكلمة وتحدث تغيرا في بنية المقطع في الكلمة العربية، سوف نتناول بالتحليل المقاطع التي انقلبت فيها الواو والياء همزة، في مثل سماء، وبناء. يقول الحملاوي: سماء أصلها سمو، دخل في بنائها ألف كألف كتاب (Al-Syayib، 1999، ص 258). فأصبحت افتراضا(سماو). فعلى هذا الافتراض تكون البنية المقطعية للكلمة في حالة الوقف كالآتي: سماوْ=/ صح / صح ح (ن ح)، يُقصد بـ (ن ح) نصف حركة. أما في حالة تحريك الواو(سماوُ)، فيكون تركيبها المقطعي، على النحو الآتي:/ صح / صح ح / (ن ص) ح ص/.

فالبنية المقطعية للمقطع الأخير للكلمة (سماوْ): / في حالة الوقف يخالف تصنيف إبراهيم أنيس، ولا يوافق البنية المقطعية في العربية، فليس هناك مقطع ينتهي بصوت نصف صامت أو نصف حركة، فيما أورده سواء من المقاطع المفتوحة أوالمغلقة، ولا في الطويلة ولا القصيرة. ونحكم عليه وفقا لذلك بخروجه عن البنية المقطعية العربية، إضافة إلى أن هذا افتراض لعدم وقوعه في الكلام المنطوق. إلا إذا افترضنا أنه يُعدُّ الصوت المسمّى نصف الصامت كالصوت الصامت؛ أو لأنه يشغل وظيفة الصوت الصامت في البنية المقطعية للكلمة العربية. ولذلك يلاحظ أن العربية تلجأ إلى إبدال هذه الواو، التي هي واو للمد في كلمة (يسمو)، ونصف صامت في كلمة (سَمَوَ) بهمزة. وعندها يصبح التشكيل المقطعي للكلمة بعد الإبدال

على النحو الآتي، في الوقف (سماءْ):/صح/ صح ح ص/ فالمقطع الأول قصير مفتوح، والمقطع الثاني طويل مغلق.

أما في حالة انقلاب الواو إلى همزة، فتكون مقاطع كلمة(سماءٌ): /صح /ص ح ح /ص ح ص/ فالمقطع الأول في الكلمتين متماثل، وقد أصاب المقطع الثاني تَغيُّرًا، فتحول من مقطع طويل مغلق في الوقف إلى مقطع طويل مفتوح، وتشكل مقطع ثالث قصير مغلق. فلو كانت الواو في كلمة:(سماو) بعد إضافة الألف إلى(سَمَوَ) كما أضيفت إلى كتاب من (كتب) أو يكون بتقدير إشباع الفتحة حتى تصبح ألفا، فتكون البنية المقطعية الواقعة كالآتي: (سماو): / ص ح/ صح (ن ح)/. وهذا المقطع الأخير غير موجود في البنية المقطعية العربية حسب تصنيف إبراهيم أنيس، لكنّه يوافق ما أضافه سمير استيتية والذي سماه بـ(ن ح)= نصف حركة(*). فالمقطع الأخير في الكلمة العربية يغلب عليه أن يكونأحد مقطعين، بحسب التصنيف السابق، هما:

1. صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت س (ص ح ح ص)
2. صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان. (ص ح ص)

وبناء على ذلك فان المقطع الثاني من كلمة (سماو): المفترض وقوعه قياسا على كتاب، يكون مخالفاً للبنية المقطعية العربية؛ ولذلك يلجأ العربي إلى قلب الصوت المخالف للبنية الصوتية والمقطعية إلى صوت صامت يمتلك من الخصائص ما يوافق النظام الصوتي للعربية. فما هي صفات الصوت الذي يمكن أن يحل مكان صوت المدّ (الواو والياء) بعد الألف، أو نصف الحركة، ويوافق بنية المقطع في العربية.

أولا: لا بدَ أن يكون هذا الصوت صوتا صامتا ليوافق بنية المقطع في العربية، إذ يمتنع أن يتعاقب صوتا لين في مقطع واحد في العربية مطلقا.

ثانيا: إن الطبيعة الصوتية لأصوات المدّ تتطلب أن تخرج حُرَّة طليقة دون أن يصادفها أي عائق مخرجي كلي أو جزئي. وهنا يجدر بنا أن نشير إلى أن أول المدارج الصوتية التي تصادف تيار الهواء المنشئ للأصوات الصامتة هو الحنجرة.

ثالثا: الحركات الطويلة (أصوات المد) أصعب من الأصوات الصامتة في النطق، وإنّ تتابعها يمثل صعوبة نطقية يفرُّ منها التشكيل الصوتي والمقطعي في العربية، على النحو الذي رأيناه في التشكيل المقطعي الذي انتهى إليه إبراهيمأنيس.

ومن خصائص أصوات المدّ كما وصفها القدماء أنها من الجوف (Al-Hamlawi، 1972، ص 134-135)، وأقرب المخارج إلى الجوف وأولها الحنجرة، ويخرج منها الهمزة أولاً ثم الهاء، والهاء صوت احتكاكي مهموس ضعيف (الخليل، دت، ص 57). أما الهمزة الانفجارية الشديدة، فإنها تمثل الحل الأمثل لقطع صوت اللين في البنية المقطعية لكلمتي (سماء وبناء) وما شاكلهما في المقطع الثاني منهما، والمكون من صوت ساكن + صوت لين قصير. والمقطع الثالث يماثله تماما.

يترتب على ذلك وقوع الألف الزائدة التي تشبه الألف في كلمة (كتاب)، في مثل كلمتي (سماء وبناء)، اختلاف التركيب المقطعي؛ ليصبح المقطعان الثاني والثالث على صورة مقطع واحد، فتقوم الحنجرة عن طريق انسدادها بتقارب الوترين الصوتيين بقطع امتداد صوت الألف، لأنه أطول أصوات المد فتتشكل الهمزة، الذي تحل فيه صوتيا محل صوت المدّ الثاني أو نصف الحركة، وهو الواو أو الياء. وبهذا تصبح البنية المقطعية موافقة لمقاطع العربية على الصورة الآتية (صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن)، وهو المقطع الرابع في تصنيف إبراهيم أنيس. وهذه البنية الجديدة التي تشكلت بعد تحويل صوت العلة أو نصف العلة إلى همزة بسبب الطبيعة العضوية لنطق الأصوات، إضافة إلى خصائص الهمزة، وأولوية مخرجها وقربها من الجوف، وانفجاريتها، قد

(*) ن ح = نصف حركة، ونفضل أن تكون تسميته بنصف صامت؛ لأن التصويت ينطلق – في مثل هذه الحالة– من منطقة الحركات إلى منطقة متوسطة بين النطق بالحركة والأصوات الصامتة، فالحركة تكون باتجاه موقع الصوت الصامت ولأن الهدف أن يشغل وظيفة الصوت الصامت. بسبب تحوله إلى نصف صامت أو شبه صامت، ووقوعه بعد مدّ.

رشّحها للقيام بتشكيل جديد للبنية المقطعية للكلمة، لتوافق التشكيل الصوتي للمقطع في الكلمة العربية، على النحو الذي رأينا.

ومن الملاحظات التي تجعل الهمزة أفضل الخيارات في وقوعها موقع العلة مع أنها صوت صامت , ظهور حالة امتزاج منظم تطرأ على توزيع ترددات الأصوات المكونة للمقطع اللغوي الذي يقع به مثل هذا الإبدال.إذ يحدث منالشكل الجديد للمقطع بعد دخول الهمزة توافق في ترددات نسيجه اللغوي , لينجم عن ذلك التوافق تركيب مقاطع مقبولة الإيقاع لدى أبناء العربية (Al-Syayib، 1999، ص 162)، على النحو الذي دعت إليه الحاجة الصوتية لإحلال الهمزة مكان الواو أو الياء بعد الألف لينسجم المقطع الصوتي. فموقع الصوت يعرضه لكثير من التطور والانحراف، فأصوات اللين المتطرفة يجعلها في الغالب عرضة للسقوط ويؤدي أحيانا إلى تحولها إلى أصوات أخرى (Istitiyah، 2003، ص 312).

واللغة العربية تميل عادة في مقاطعها إلى المقاطع الساكنة، وهي التي تنتهي بصوت ساكن، ويقلّ فيها توالي المقاطع المتحركة،خصوصا حين تشتمل على أصوات لين قصيرة (Wafi، 1957، ص 275)، ويرى فوزي الشايب أن الحركات التي تقع قبل الهمزة تتصف بأنّ درجتها طويلة جدا (Al-Syayib، 1999، ص 162). فإذا كانت الألف زاد ذلك في طولها، مما يدعو إلى إنهاء هذه الإطالة إلى صوت يتصف بالقطع والوقف والشدَة، فيفضي حسيراً إلى مخرج الهمزة (Al-Syayib، 1999، ص 162). فكانت الهمزة هي الخيار الصوتي المفضل في مثل هذا التركيب الصوتي والمقطعي؛ إذ تجنح العربية إلى إقفال المقاطع المفتوحة و العرب " يكرهون النطق بمقاطع مفتوحة متوالية، ومن ثمّ لجأوا إلى إقفال بعض هذه المقاطع المفتوحة، وهو ما اتخذ أحيانا صورة (الإسكان)، وأحياناً صورة (الإدغام) في الكلمة الواحدة، وفي الكلمتين" (Ibnu Jinni، 2000،ص 7-8).

ولعل ظاهرة الهمز هي إحدى ظواهر جنوح العربية إلى إقفال بعض هذه المقاطع المفتوحة، وذلك نحو قولنا: العألم والخأتم. كذلك الوقف بالهمز على بعض الكلمات، مثل:(حبلأ، ورجلأ) (Syahin، دت، ص 174). ويؤكد ما هذا ما يراه عبد الواحد وافي في حديثه عن التفاعل بين أصوات اللين، إذ يقول: إن"تجاور صوتي لين أو تقاربهما في الكلمة يجعلهما عرضة للتغيير والانحراف، فيتحول أحدهما عن فصيلته، فيتحول إلى صوت ساكن " (Wafi، 1957، ص 274-275) أو شبيه بالصامت.

الخاتمة

بيّن البحث خصائص كل من الهمزة وحروف العلة، وأظهر وجود نوعين من العلاقة بينهما، أولاهما: علاقة توافقية، تتمثل في الوضوح وأولية المخرج. وثانيهما: علاقة المخالفة التي تمثلت بتصنيف الهمزة صوتا صامتا، وحروف العلة أصواتا صائتة.

وبيّن البحث كذلك الخصائص والتصنيفات المقطعية في العربية وما يجري عليها من تحوّلاتٍ، تهدف إلى التخلص من المقاطع المستثقلة، والوصول إلى مقاطع توافق طبيعة العربية الصوتية، من خلال وصف أكوستيكي لطبيعة عملية النطق، وَفْقًا للخصائص الصوتية للتتابعات المقبولة في المقطع الأخير في الكلمة، على نحو خاص في العربية وَفْقًا لدراسات إبراهيم أنيس، وكمال بشر، وكذلك سمير استيتية وآخرون.

وانتهى البحث إلى أن هذا التحول من حروف العلة (الأصوات الصائتة الطويلة) في حالة تطرفها بعد الألف إلى الهمزة. هو الخيار الأمثل والخيار الصوتي الأكوستيكي، الذي يوافق الصيغة الصوتية والمقطعية العربية، ويجعل الهمزة بخصائصها في شدتها وانفجاريتها، هي الخيار الأوحد الملائم. وهو ما يؤكد صفتها كصوت صامت، ويخرجها من دائرة حروف العلة.

وأثبت البحث أن انقلاب الواو والياء وكذلك الألف إلى همزة تؤيّده البنية المقطعية في الكلمة العربية، وهو ضرورة حتمية في هذه السياقات الصوتية موضع الدراسة، وأن انقلاب أحرف العلة همزة لا يجعل الهمزة من حروف العلة على أيّة حال.

مراجع

Abdu al-Tawwab, Ramadhan. *Al-Tathawwur al-Lughawi.* Qahirah: al-Khanji.

Abdu al-Tawwab, Ramadhan. (1997). *Al-Madkhal ila Ilm al-Lughah wa Manahij al-Bahts al-Lughawi.* Thaba'ah Tsalitsah. Qahirah: al-Khanji.

Al-Bukusy, al-Thayyib. (1992). *Al-Tashrif al-Arabi*. Taqdim: Shaleh al-Qurmadi.

Al-Farahidi, Khalil bin Ahmad. (1980). *Al-'Ain.* Tahqiq: Mahdi al-Makhzumi. Baghdad: Dar al-Rasyid li al-Nasyr.

Al-Hamlawi, Ahmad. *Syadza al-Urf fi Fan al-Sharf*. Thaba'ah Tasi'ata Asyar. Qahirah: Maktabah Musthafa al-Babi al-Halbi.

Al-Kana'anah, Abdullah. (1997). *Atsru al-Harakah al-Mazdujah fi Bunyah al-Kalimah al-Arabiyyah.* Thaba'ah Ula. Oman: Wizarah al-Tsaqafah.

Al-Khauli, Muhammad Ali. (1993). *Madkhal ila Ilm al-Lughah.* Thaba'ah Ula. Oman: Dar al-Falah li al-Nasyr.

Al-Syayib, Fauzi. (1999). *Muhadharat fi al-Siyasah*. Thaba'ah Ula. Al-Urdun: Mansyurat Wizarah al-Tsaqafah.

Anis, Ibrahim. (1992). *Fi al-Lahajat al-Arabiyyah*. Thaba'ah Tsaminah. Qahirah: Maktabah al-Anjalu al-Misriyyah.

Bergstrasr. (1994). *Al-Tathawwur al-Nahwi li al-Lughah al-Arabiyyah*. Thaba'ah Tsaniyyah. Qahirah: Maktabah al-Khanji.

Basyar, Kama. *Al-Aswat al-Arabiyyah.* Qahirah: Maktabah al-Syabab.

Hasan, Tamam.(1955). *Manahij al-Bahts fi al-Lughah*. Qahirah: Maktabah al-Anjalu al-Misriyyah.

Hilal, Abdu al-Ghaffar.(1996). *Aswat al-Lughah al-Arabiyyah.* Thaba'ah Tsaniyyah. Qahirah: Maktabah Wahbah.

Ibnu Jinni, Abu Usman. (1954). *Sir al-Shina'ah*. Thaba'ah Ula. Qahirah: Musthafa al-Saqa, Musthafa al-Babi al-Halbi.

Istitiyyah, Samir. (2003). *Al-Aswat al-Lughawiyyah*. Thaba'ah Ula. Oman: Dar Wail li al-Nasyr.

Sibawaih, Abu Basyar. (1975). *Al-Kitab al-Juz al-Rabi'.* Thaba'ah Tsaniyyah. Tahqiq: Abdu al-Salam Harun.

Syahin, Abdu al-Shabur. *Al-Manhaj al-Shauti li al-Bunyah al-Arabiyyah*. Qahirah: Maktabah al-Syabab.

Syumuli, Qustandi. (1986). *Madkhal ila Ilm al-Lughah al-Hadits.* Thaba'ah Tsaniyyah. Al-Quds.

Umar, Ahmad Mukhtar. (1976). *Dirasah al-Shaut al-Lughawi.* Thaba'ah Ula. Qahirah: Alim al-Kutub.

Wafi, Ali Abdu al-Wahid. *Ilm al-Lughah.* Thaba'ah Rabi'ah. Qahirah: Maktabah Nahdhah Misr.